هل من سبيل الى عودة العرب الى مثل الاسلام العليا ؟

للأستاذ خليل الخوري

قرأت جميع المقالات التي نشرت في العدد الممتاز من مجلة « الرسالة » الغراء ، الصادر في ٧ يناير . وأعدت قراءتها المرة بعد المرة ، فخرجت من دراستها والتأمل فيها بأمرين خطيرين : الأول : أن الإسلام هو الذي أضرم في قلوب العرب الجذوة المؤججة من نار الحماسة القومية والروحية ، فبعثهم من صحرائهم واندفعوا في جميع الجهات وتمكنوا — وهم فئة قليلة — بما كان لهم من الإيمان الوطيد من تدويخ الأقطار والأمصار ، ومن القضاء على الإمبراطوريتين العظيمتين الفارسية والرومانية اللتين كانتا تسيطران على دنيا ذلك الزمان . ولما استكملوا الفتوحات واستتب لهم الأمر ، ساروا في سبيل الحضارة والعلوم ، فقطعوا في مضمارها أشواطاً ، بزوا فيها جميع الأولين . والثاني : أن العرب ما تخلفوا عن قافلة الحضارة إلا لما تخلوا — بل لما تخلى زعماؤهم — عن المثل العليا التي فرضها لهم دينهم العظيم مبعث كل حق ومصدر كل عدل ، فتكالبوا على الدنيا وحطامها .

ذانك الأمران حقيقتان لا ريب فيهما : الحقيقة الأولى : تبعث في نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا الفطاريف ، والأمل بأن تعود سيرتهم الأولى فنرد شيئاً من مجدنا الضائع . والحقيقة الثانية : تحدث لنا شجناً وحزناً يليغاً ، بل يأساً من هذا التخاذل والرين الذي صرنا إليه بسبب هجرتنا لمبادئنا العليا ، بل بسبب سروق زعمائنا وحكامنا من مهيع الهدى ، وسيرهم في سبيل الضلال والأنانية والأثرة . هذا هو داؤنا الوبيل ، وكلنا نعرفه ونشكو منه ، وكلنا العلماء والجهلاء يعرفون هذا الداء ويصفون الدواء أيضاً ، فينادون الزعماء والحكام بأن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ، ويقتبسوا ولو اليسير بأجدادنا العظماء في صدر الإسلام — كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب — ويروى التاريخ أن أبا بكر دعا ابنته عائشة وهو على فراش الموت وقال لها : « اعلمي يا بنيتي أني لم آخذ من أموال المسلمين وأمنائهم شيئاً ، وإنما أكلت من جريش طعامهم وارتديت من خشن ثيابهم ، وليس لي من أموالهم سوى هذه القطيفة وهذه البغلة وهذا العبد ، فإذا مت فخذي هذا كله وسلميه إلى عمر » . ثم توفي أبو بكر فأخذت ما أوصى به وسلمته إلى عمر ، فأعتق عمر العبد وأرسل القطيفة إلى بيت المال ، أما البغلة فقال : « إن ركوبتك يا عمر يغيظ أن تحملك من بيتك إلى دار الحكم » وردها إلى بيت المال ، هكذا كان يفعل حكامنا الأولون

ما السبيل للعود إلى مثل الإسلام العليا ؟ إن السبيل الوحيد هو تولي الصالحين الذين يتقون الله ، المناصب العليا والصغرى في الدولة ، وتمكينهم من الجلوس على مقاعد النيابة ، فيكون ولاة الأمور وأصحاب البسط والقبض من العلماء والكتاب والفضلاء المعروفين بالتقوى والصلاح والزهد ، والرغبة عن حشد المال وعن الإثراء باستغلال الوظائف

إننا نسلم أن الأمة العربية لا تخلو من الأبرار الصالحين ، والفضلاء المتدينين ، على أن أمثال هؤلاء الأتقياء الشرفاء بعيدون عن الحكم ، وإذا شاؤوا الوصول إليه وحاولوه لفشلوا يقيناً لأنهم لا يملكون وسائله ، وإنما يملك تلك الوسائل أهل السياسة وأهل المال ، وفي معظم الأقطار العربية لا يمكن أن يكون نائباً سوى الغني

سبابي وشتائمي . وليعلم الأستاذ الفاضل ، إن كان لا يعلم ، أن هؤلاء السفهاء في الدنيا كثير ، فإذا كان يغضب لكل سفاهة من سفيه ، فإن شقاءه سيطول بغضبه ، فدع السفهاء وليقولوا ما شاؤوا ، وكن أنت صنينا بكرامتك ، فإنها أعز وأغلى من أن تبذل على الألسنة . وتقبل إن تفضلت عذري وشكري واحترامي وتقديري ، وعجزي عن مخالفتك ، وحبي لرضاك ، وقد بلغت مني في مقالك ما شئت ، وناصيتي بيدك ، وفي المثل : « ملكت فأسجح » . فافعل مؤيداً منصوراً ، والسلام

محمود محمد شاكر

المثرى الذى يستطيع أن يشترى مقعداً فى البرلمان من الزعيم الذى يملك القرى وسكانها ، فيأمرهم باعطاء أصواتهم لذلك المثرى الذى دفع له الثمن الفادح

من أجل هذا نرى أن الرجل الشريف التقى النقى مقصى عن دوائر الحكم ، لا يستطيع إلا البكاء والتفجع لما يشهد فى تلك الدوائر — فى مقالات يدبجها وفى قصائد ينظمها — يناشد فيها أولئك الحكام أن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ويسلكوا فى أعمالهم المحجة ويحملوا بأيديهم مصباح « ديوجنس » يبحثون بضوئه عن الصالحين المختبئين المتكمشين فى الزوايا ، ويتقونهم لولاية مصالح العباد . ومن سخرية الأقدار أننا نرى أولئك الحكام يشاركونه فى دعوته وفى بكائه وفى شجب الشر والإثم وفى استنكار الخروج على الفضيلة ، وهم ممعنون فى اجتراح الحرب ، لماذا لا يكون المثاليون المتحلون بمكارم الأخلاق من رجال الحكم ، ولماذا لا نرى فى النادر الحاكمين وكبار أصحاب المناصب ، حيث الصغار إلا من طلبات الانتهازيين والوصوليين ، وإن وجد فى دور الحكم المتنزهون عن المطامع ، فهم نفر قليل

يقول دعاة الشر والخبث إن هذا الجيل جيل فاسد ، وأنه ينبغى لنا أن ننتظر الأجيال القادمة التى يؤمل منها الخير — ألا فقولوا إن هذا الكلام يراد منه التخدير وإلهاء الأمة عن الشرور التى ترتكب — فإن هذا الجيل كغيره من الأجيال ، فيه الصالح وفيه الطالح ، ومن الواجب أن نسعى ونبذل الجهود فى منع الطالحين من تولى مقاليد الأمور ، وفى تمكين الصالحين من الوصول إلى الحكم

ويخيل إلى ولا أرانى بعيداً عن الخطل فيما أتخيل ، أنه لو أتيح لأصحاب المثل العليا من الأتقياء الأنقياء أن يلوا الحكم فى البلدان العربية ، لكانوا نجوماً يقتدى بهم ويهتدى ، ولكانوا يتقون ذوى الصلاح والتقوى لتقلد الوظائف والمناصب فى الدولة ، ولكانوا اتفقوا على وحدة الأمة ولو اقتضت الوحدة خسران مناصبهم ، ولما كانوا رضوا ببقاء هذه الدويلات الهزيلة السقيمة التى لا وزن لها بين الدول ، والتى هى أقوى الحجج على انحطاط العرب وتخاذلهم فى وجه الأخطار التى تحيق بهم من جميع الجوانب ، ولكانوا انتزعوا السخائم من قلوب العرب ، ولموا شعثهم وجعلوا منهم دولة واحدة موحدة ، فتزول الحواجز والحدود المصطنعة ، وتعطى الحرية لتنقل الأشخاص والأشياء فى جميع أراضى الناطقين بالضاد

ولكن كيف يكون ذلك وما السبيل إلى تمكين الأتقياء الحقيقيين من ولاية الأمر فى الدولة ؟ وتمن لى ثلاثة تدابير ينبغى أن نتخذ لمحاولة الوصول إلى تلك الأمنية التى ننشدها :

التدبير الأول : إن معظم الناس يجهلون ما فى الإسلام من المثل العليا ، ويزدرون الدين ويستهترون — ولعل السبب الأكبر فى ذلك هو أنهم لم يربوا التربية الدينية فى طفولتهم ، ولم يتعلموا تعليما دينيا صحيحاً فى المدارس — ويا حبذا لو جعل التعليم الدينى فرضاً فى جميع المدارس العربية وفى جميع مراحل الدراسة حتى الجامعية ، ويتفق لهذا التدريس كبار العلماء المثقفين الشرفاء ، وبهذه الطريقة ترسخ مبادئ الدين العليا فى قلوب الناشئة من البنات والبنين ، وتظل راسخة إذا ظلوا يثقفون الدراسة فى المعاهد العليا ، وإلا محيت من النفوس ، وينشأون على احترام دينهم وما فيه من أدب للدنيا والدين . ومثل هذه التربية قمينة على العموم أن تجعل الخير غالباً على الشر ، وتخلق فتياناً ذوى تقى ينشرون الفضيلة والحق أينما عملوا ، أفى الحكومة أم فى غيرها

التدبير الثانى : هو تدبير ذو أثر عاجل ، ومؤداه أن يعمد كبار أصحاب المناصب فى الدولة الذين هم من أصحاب المثل العليا ، ووجدوا فى دور الحكم من قبل القضاء والقدر الميمون ، أقصى العناية لاستخدام الذين يخافون الله ، والذين هم شجعان صناديد على الباطل ، جبناء رعاديد على الحق ، فإذا فعلوا ذلك خففوا من وطأة الشر المستفحل

التدبير الثالث : يكون فى جعل الانتخابات للبرلمان حرة إلى أقصى الحدود . إن النظام البرلمانى إنما هو بدعة غربية استوردناها كما استوردنا غيرها من كثير البدع

التي نشأت في أوربا منذ بضعة قرون ، أخذناها بجميع مجرها وبجرها . وعندي إن صح أن يكون لي « كمند » أنه يجب تعديل القوانين الانتخابية في الأقطار العربية ، بحيث تشمل القواعد الآتيـــة :

القاعدة الأولى : أن تقسم الدولة إلى دوائر انتخابية مستقلة ولا يرشح للانتخاب في الدائرة إلا أحد أبنائها ، لأنه لا يعرف أدواءها وظلاماتها سوى أبنائها

القاعدة الثانية : أن يلغى نظام القائمـة المعمول به في بعض البلدان العربية ، فإنه نظام فاسد ، ومحصله أن المرشح الذي يفوز في الانتخاب لا يمثـل الدائرة أو الدوائر التي يشملها نفوذ زعيم القائمة ، وإنما هو يمثل الزعيم نفسه ، ويخدم في المجلس متى وصل إليه مصالح الزعيم ومطامعه ، لا مصالح الأمة

القاعدة الثالثة : أن يرشح الشخص مستقلا منفصـلا عن الأحزاب والهيئات والحكومات

القاعدة الرابعة : أن تلغى الدعاوات بشكلها الحاضر المخزي الفاضح ، لأنهـا تجرد الناخبين من حريتهم في انتخاب من تلهمهم لانتخابه ضمائرهم ، ولأنه لا يستطيعها سوى أصحاب الأموال الذين ينفقون عليها فاحش المبالغ من الأموال ، فيحرم الشرفاء المخلصون الأتقياء الوصول إلى مقاعد النيابة ، لأن ضآلة أموالهم وأنفتهم وعزتهم رباً بهم من القيام بمثل تلك الدعاوات ، وبذلك تحرم الأمة الانتفاع من أبنائها الأبرار ، ويحكمها بهـذه الطريقة الأغنياء التجار ، ويسود نظام « البلوتارخية » . تأمل أن في الدائرة الانتخابية مرشحين ، أحدهما مثر والآخر لا مال له . الأول يقيم الحفلات والمهرجانات يوماً بعد يوم ، يحشد إليها الناس ويغدق عليهم العطايا وأطايب الطعام والشراب والدخان ، والثاني لا يستطيع من ذلك شيئاً (أولا) لقـلة ماله و (ثانياً) لأنه يراه شناراً وخزياً . وبمثل هـذه الأساليب تصبح مؤهلات النائب الواقعية المـال والثراء ، لا العـلم والإخلاص ومكارم الأخلاق ، فيا ويلنا ممـا نحن فيه من الأوصاب التي لن تفضي بنا إلا إلى شر المآب

القاعدة الخامسة : أن يكون عدد النواب أقل ما يمكن ، ويجب أن ينقص النواب في كل قطر إلى نصف عددهم الحاضر ، ولا يزاد ولو زاد السكان

ويا حبذا لو أنعم كتاب « الرسالة » الغراء الروية في هـذه الشجون التي يعانيها العرب أجمعون ، لعلهم يهتدون إلى سبل قويمة لإصلاح النظام القائم إصلاحاً ، يمكن أصحاب المثـل العليا من أهل العـلم ومكارم الأخلاق من تولي مقاليد الأمور ، ومن الوصول إلى مقاعد النيابة التي هي مصدر السلطات كلها

طرابلس الغرب

خليل الخوري

القاضي في طرابلس الغرب

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعري تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . وهي كآلام « فرتر » في دقة النزعة وقوة الأسلوب طبعت أربع مرات وثمنها

٢٥ قرشا عدا أجرة البريد